مقتطفات من المناظرات

الحاصل: اننا نطلب ضمان مستقبل العلماء في الولايات الشرقية ونطلب نصيبنا من معنى "الاتحاد" و"الترقى" لا من الاسم، فنطلب ما هو هيّن عليكم وعظيم عندنا.

س: افصح عن مقصدك ولا تتركه مبهماً. ماذا تريد؟.

ج: نطلب تأسيس "مدرسة الزهراء" – شقيقة الجامع الأزهر – التي تتضمن الجامعة. نطلب تأسيسها في "بتليس" مع رفيقتها في كل من "وان" و"دياربكر" جناحَي بتليس، اطمأنوا أننا – نحن الأكراد – لسنا كالآخرين – فنحن نعلم يقيناً أن حياتنا الاجتماعية تنشأ من حياة الأتراك وسعادتهم.

س: كيف؟ مثل ماذا؟ ولِمَ؟.

ج: ان لها بعض شرائط تربوية، ومجاري واردات، ومحاسن ثمرات...

س: ما شرائطها؟.

ج: ثمانية:

اولاها: التسمية باسم "المدرسة" لأنه مألوف ومأنوس وجذّاب، ومع كونه عنواناً اعتبارياً الاّ أنه يتضمن حقيقة عظيمة ممّا يهيّج الأشواق وينبّه الرغبات.

ثانيها: مزج العلوم الكونية الحديثة ودرجها مع العلوم الدينية معَ جعل اللغة العربية واجبة، والكردية جائزة، والتركية لازمة.

س: ما الحكمة في هذا المزج، حتى تدعو اليه دائماً وتدافع عنه؟.

ج: لتخليص المحاكمة الذهنية (العقلية) من ظلمات السفسطة الحاصلة من أربعة أنواع

من الأقيسة التمثيلية الفاسدة[1] وازالة المغالطة التي تولدها الملكة المتفلسفة على التقليد الطفيلي.

س: كيف؟ مثل ماذا؟.

ج: ضياء القلب هو العلوم الدينية، ونور العقل هو العلوم الحديثة، فبإمتزاجهما تتجلّى الحقيقة، فتتربّى همة الطالب وتعلو بكلا الجناحين، وبافتراقهما يتولد التعصب في الاولى والحيل والشبهات في الثانية.

الشرط الثالث: انتخاب المدرسين فيها، أما من العلماء الأكراد من ذوي الجناحين أي الموثّقين والمعتمدين من قبل الأكراد والأتراك او ممن يعرفون اللغة المحلية ليُستأنس بهم.

رابعها: الإستشارة باستعداد الأكراد وقابلياتهم، وجعل صباوتهم وبساطتهم نصب العين، وكم من لباس يُستحسن على قامة، يستقبح على أخرى، وتعليم الصبيان قد يكون بالقسر أو بمداعبة ميولهم.

الشرط الخامس: تطبيق قاعدة "تقسيم الأعمال" بحذافيرها، حتى يتخرج من كل شعبة متخصصون مَهَرة مع أنها مداخل ومخارج بعضها ببعض.

الشرط السادس: ايجاد سبيل بعد تخرج المداومين وضمان تقدمهم واستفاضتهم حتى يتساووا مع خريجي المدارس العليا ويتعامل معهم بنفس المعاملة مع المدارس العليا والمعاهد الرسمية، وجعل امتحاناتها كامتحانات تلك المدارس منتجة، دون تركها عقيمة.

---

[1] من أمثال تلك القياسات الفاسدة: قياس المعنويات على الماديات، واتخاذ ماتقوله اوروبا حجة في المعنويات، أي كما أنهم ماهرون في الماديات، ويقتدى بهم فيها، فهم ماهرون في العقائد ايضاً. وثانيتها: رفض أقوال العلماء – ممن لم يطّلعوا على بعض العلوم الحديثة – في العلوم الدينية ايضاً. ثالثتها: الاعتماد على النفس والاعتداد بها في الدين لاغتراره بمهارته في العلوم الحديثة. رابعتها: قياس السلف على الخلف والماضي على الحاضر، ثم شن الهجوم وتقديم الاعتراضات الباطلة – شقيق المؤلف عبدالمجيد.

الشرط السابع: اتخاذ دار المعلمين – موقتاً – ركيزة لهذه المدرسة ودمجها معها، ليسري الانتظام والاستفاضة من العلم من هذه الى تلك والفضيلة والتدين من تلك الى هذه، حتى يكون كل منها ذا جناحين بالتبادل.

س: ما وارداتها؟

ج: الحمية والغيرة..

س: ثم ؟

ج: ان هذه المدرسة كنواة تتضمن – بالقوة – شجرة طوبى. فان اخضرّت بالحميّة والغيرة إستغنت عنكم وعن خزائنكم المنضوبة، وذلك بجذبها الطبيعي لحياتها المادية.

س: بأي جهة؟

ج: بجهات عديدة:

الاولى: الأوقاف، لو انتظمت انتظاماً حقيقياً، لأسالَت الى هذا الحوض عيناً سيالة بتوحيد المدارس.

الثانية: الزكاة، فنحن شافعيون وأحناف، فاذا أبدت – بعد حين – تلك المدرسة الزهراء خدماتها للاسلام والانسانية، فلا ريب أن يتوجه اليها قسم من الزكاة وتحصرها لنفسها باستحقاق، وحتى لو كانت لها زكاة الزكاة لكفتها.

الثالثة: النذور والصدقات... فكما ان هذه المدرسة تكوّن وتمثل عند العقول أسمى "مدرسة" وبنظر القلوب والوجدان أقدس زاوية "تكية" وذلك بما تنشره من ثمرات وما تعمه من ضياء وما تقدمه للاسلام من خدمات جليلة. أي فكما هي مدرسة دينية فهي مدرسة حديثة، وتكية أيضاً. وحينها يتوجه اليها قسم من النذور والصدقات التي هي من جملة التكافل الاجتماعي في الاسلام.

الرابعة: الإعارة.. بتوسيع واردات دار المعلمين – بعد الدمج لأجل التبادل المذكور– توسيعاً نسبياً، يمكن اعارة تلك الواردات اليها موقتاً، وحينما تستغني – بعد مدة – ستردّ تلك العارية.

س: ما ثمرات هذه المدرسة حتى تصرخ وتدعو اليها بحماسة من قبل عشر سنين بل من قبل خمس وخمسين سنة؟.

ج: مجملاً تأمين مستقبل العلماء الأكراد والأتراك[٢] واقحام المعرفة عن طريق "المدرسة" الى كردستان واظهار محاسن "المشروطية" و "الحرية" والاستفادة منها.

س: يحسن بك أن توضح أكثر وتفصّل.

ج:

الأول: توحيد المدارس الدينية واصلاحها...

الثاني: انقاذ الاسلام من الأساطير والأسرائيليات والتعصب الممقوت، تلك التي صدّأت سيف الاسلام المهنّد.

نعم إن شأن الاسلام الصلابة في الدين وهي المتانة والثبات والتمسك بالحق، وليس التعصب الناشئ عن الجهل وعدم المحاكمة العقلية، وفي نظري ان أخطر انواع التعصب هو ذلك الذي يحمله قسم من مقلدي اوربا وملحديها، لما يصرّون بعناد على شبهاتهم السطحية، وليس هذا من شأن العلماء المتمسكين بالبرهان.

الثالث: فتح باب لنشر محاسن المشروطية.

---

[٢] لقد ألقيت هذه المباحث حول "مدرسة الزهراء" في السنة الثالثة من اعلان الحرية على صورة خطب للأهالي في كل من بتليس ووان وديار بكر وغيرها من الأماكن، وقابلوني جميعاً بالموافقة وبأن هذه المسألة حقيقة وممكنة وقابلة للتطبيق، لذا أستطيع أن أقول انني مترجم لما كان يدور بخلدهم في هذه المسألة – المؤلف.

نعم، ليس هناك في العشائر من فكرٍ يجرح المشروطية، ولكن ان لم تستحسن في نظرهم فلا يستفاد منها. وهذا أشد ضرراً، فلاشك أن المريض لايستعمل دواءً يظنه مشوباً بالسم.

الرابع: فتح طريق لجريان العلوم الكونية الحديثة الى المدارس الدينية، بفتح نبع صافٍ لتلك العلوم بحيث لاينفر منها أهل المدارس الدينية، ولقد قلت مراراً بأن فهماً خطأً وتوهماً مشؤوماً قد أقاما – لحد الآن – سدّين أمام جريان العلوم.

الخامس: اكرر ماقلته مراراً – بل مئة مرة – ان هذه المدرسة تصالح بين أهل المدرسة "الدينية" والمدرسة "الحديثة" وأهل الزوايا "التكايا" وتجعلهم يتحدون –في الأقل– في المقصد، وذلك بما تحدث فيما بينهم من الميل وتبادل الأفكار.

نعم، نشاهد بأسى وأسف أن تباين أفكارهم كما فرّق الاتحاد فيما بينهم فان تخالف مشاربهم قد وقّف التقدم والرقي أيضاً وذلك لأن كلاً منهم بحكم التعصب لمسلكه ونظره السطحي لمسلك الآخر، انساق الى الافراط والتفريط، ففرّط هذا بتضليل ذاك، وأفرط ذاك بتجهيل هذا.

الخلاصة: ان الاسلام لو تجسّم لكان قصراً مشيداً نورانياً ينور الأرض ويبهجها فأحد منازله "مدرسة حديثة"، واحدى حجراته "مدرسة دينية"، واحدى زواياه "تكية"، ورواقه مجمع الكل، ومجلس الشورى، يكمل البعض نقص الآخر.. وكما أن المرآة تمثل صورة الشمس وتعكسها فهذه المدرسة الزهراء ستعكس وتمثل أيضاً صورة ذلك القصر الإلهي الفخم في البلدان الخارجية.

يا أيها الاشراف! اخدمونا كما خدمناكم والاّ... يا أهل الحكومة الذين تدّعون الوصاية علينا بعدم بلوغنا سن الرشد كما تظنون أمّنوا وسائل سعادتنا كيما نطيعكم، وإلاّ.. يا اعضاء الاتحاد والترقي القدماء يامن تعهّدتم وتحمّلتم بحق الواجب الاجتماعي للأكراد

والأتراك حسناً فعلتم وقمتم بهذا المزج، فان احسنتم فحسناً وإلاّ.. ﴿فردّوا الأمانات الى أهلها﴾[٣].

س: هناك عتاب كبير على العلماء حتى...

ج: انه ظلم عظيم وعدم انصاف شديد.

س: لماذا؟

ج: لأنه حماقة كحماقة من يهب وجوداً على ذنب صدر من العدم.

س: ماذا تعني؟.

ج: ان إدانة العلم، بذنب ناشئ من عدم الحلم، لشخص – اقترن علمه بعدم الحلم – كم هي حماقة وبلاهة، كذلك فان إدانة العلماء المساكين – وهم المرشدون دوماً الى قدسية الاسلام وسمّوه، والمبلّغون لأحكام الدين، حسب طاقاتهم والذين يستحقون اكثر احتراماً ومحبة ورحمة في الوقت الحاضر – ادانتهم بذنب وخطأ ناشئ من عدم وجود علماء بمستوى لائق لهذا العصر، ثم القاء ذلك الذنب وتلك الخطيئة على كاهل هؤلاء المساكين، ان لم تكن هذه حماقة اعظم وبلاهة اكبر فما هي اذن؟ !...

نعم، ان الضرر لم يصبنا من "وجودهم" بل من "عدم وجود" ما نبتغيه من العلماء الأفذاذ، لأن اغلب الأذكياء قد اتجهوا الى المدارس الحديثة والأغنياء لم يتنازلوا الى نمط المعيشة في المدرسة الدينية، والمدرسة نفسها – لعدم وجود الانتظام وفقدان الاستزادة من العلوم

[٣] تنبيه: يا اعضاء الحكومة وأهل السياسة الذين تعدّون أنفسكم من الخواص، لاتسلّوا أنفُسَكم بالاستناد الى هذا الكتاب الذي يخاطب العوام ويلقنهم الدروس في تحطيم اليأس لأن سوء استعمالكم أسوأ تأثيراً من سوء فهمهم، لكي ارشدكم جعلتُ الزمان وكيلاً، فلم تعيروا الى درس الزمان بالاً، فذقتم صفعة تأديبية – المؤلف.

وانقطاع سبل التخرج – لم تتمكن هيئة علماء بمقتضى هذا العصر، احذروا! ان كره العلماء وبغضهم خطر عظيم.[٤]

س: فان كانت نيتك خالصة توفّق وقليل من يخلص النية، فانظر الى نيتك.

ج: للهالحمد ولا فخر[٥] .. ان عناصر الأغراض الشخصية ومصالحها المخلّة باخلاص النيّة – من نسب ونسل وطمع وخوف – لاتعرفني ولا أعرفهن، بل لا أريد ان أتعرّف اليهن، ذلك لأني لست صاحب نسب شهير كي أجدّ في صون ماضيه، ولست صاحب اولاد كي أسعى لضمان مستقبلهم. ولكن لي جنون – أيّ جنون – حتى أعْجَزَالمحكمة العسكرية بهيبته ورهبته في علاجه، ولي جهل مطبق – وايّ جهل – حتى جعلني أمياً لا أستطيع قراءة المكتوب على الدينار والدرهم. أما التجارة الأخروية... فقد آليت على نفسي ألاّ أتراجع عن طريقي التي أسلكها ولو ضيّعت فيها رأس مالي. واني على خسارتها منذ الآن، اذ أسقط في آثام كثيرة... فلم يبق الاّ الشهرة الكاذبة... ولقد مللت منها، وأهرب منها. لأنها تحمّلني مالايمكن أن اتحمله من وظائف..

س: لِمَ تحسن الظن –كلما امكنك ذلك – بحكومة المشروطية وأفراد "جون تورك" غير الملحدين؟.

ج: لانكم تسيئون الظن بهم كلما تيسّر لكم ذلك، فأنا أحسن الظن بهم، فان كانوا بمثل ما أقول فبه ونِعمَ، والاّ فانا أرشدهم الى الصواب كي يسلكوه.

س: ما رأيك في الاتحاد والترقي؟.

---

[٤] يا أهل المدارس (الدينية): لاتيأسوا ان العلوم الدينية والعلوم الحديثة في الوقت الحاضر هما المسيطرتان. وان طريق التقدم والرقي سيكون بالعلم وبانواعه كافة، وسوف يرتقي أرفعه واعلاه الى أسمى طبقة – المؤلف.

[٥] ان التحدث بنعم اللهضرب من الشكر، مثلما يحدّث الشيخ عن كرامته شكراً لنعم اللهعليه – المؤلف.

ج: مع انني أثّمن قيمتهم الاّ انني اعترض على الشدّة التي يزاولها سياسيوهم[٦] واهنئ – في الوقت ذاته واستحسن – الى حدٍّ ما– فروعهم وشعبهم الاقتصادية والثقافية ولاسيما في الولايات الشرقية.

* * *

سؤال: ما الذي ألقانا في غياهب الضياع واقعدنا عن معالي الامور؟

الجواب:

ان الحياة حركة وفعالية، أما الشوق فجوادُها، وهو مطية الهمة. فحالما تمتطي همتُكم صهوة جواد الشوق ناشدة معالي الامور في ميادين معركة الحياة، اذا بـــ"اليأس" أول ما يصادفها، هذا العدو الألد هو الذي يفتّ من قوة الهمة.. فعليكم ان تضربوه بسيف الآية الكريمة: (لا تقنطوا) (الزمر: ٥٣).

ثم يشن "حب الظهور وميل التفوق" هجومه، هذا الميل المغروز في الانسان يحاول التحكم على خدمة الحق الخالصة من الحسد والمنازعة، فيهوي بضرباته على رأس الهمة ويطرحها الارضَ من على جوداها.. فعليكم ان تبعثوا اليه حقيقة الآية الكريمة: (كونوا قوامين) (النساء : ١٣٥).

ثم يبرز الى الميدان "الاستعجال" فيُزلّ قدم الهمة ويُقلبها على عقبيها بطفراته خطوات ترتب الاسباب والمسببات. فتشوش مراحل العلل التي وضعها الله سبحانه في سننه الكونية.. فعليكم ان تحتموا منه بالخندق الأمين للآية الكريمة: (اصبروا وصابروا ورابطوا) (ال عمران : ٢٠٠).

---

[٦] يظهر الظلم عند عدم توزيع العدالة توزيعاً عادلاً. فلا يمكن جرح شعور ألف من الناس لأجل شخص واحد. فالشدة شيء والحمية شيء آخر، اذ لو التزم مغرورٌ معجب بنفسه الحقَّ، يسوق الكثيرين الى الباطل، وربما يرغمهم عليه (بما يستعمل من شدة) – المؤلف.

ثم يتصدى لها "الرأي الشخصي" المستبد والتفكير الانفرادي الذي يبدد اعمال الانسان، رغم انه مكلّف بفطرته رعاية حقوقه ضمن رعايته لحقوق الآخرين.. فعليكم ان تصدوه بالحقيقة الشامخة في الحديث الشريف: (خير الناس انفعهم للناس).[٧]

ثم يخرج الى ساحة المعركة عدوٌ آخر وهو: "التقليد" فيجد الفرصة سانحة لتقليد الكسالى والمتخلفين، وبه يقصم ظهر الهمة.. فعليكم تحدّيه بالحقيقة الشاهقة، تلك هي حكمة الآية الكريمة: (لا يضركم من ضل اذا اهتديتم) (المائدة: ١٠٥). كيلا تبلغ يدُ العدو أذيال الهمة.

ثم يلوح العدوّ الغدّار وهو: "التسويف" الناجم من العجز وفقدان الثقة بالنفس، فينشأ منه تأجيل الاعمال الاخروية من اليوم الى الغد، وهكذا حتى يمسك يدّ الهمة ويقعدها عن النهوض.. فعليكم الاقتداء بسر الآية الكريمة: (وعلى الله فليتوكل المتوكلون) (ال عمران : ١٢٢). على الله لا على غيره. فاجعلوا التوكل عليه سبحانه حصناً للهمة.

ثم يدخل الساحة العدو الملحد وهو: "التدخل في ما هو موكول امره الى الله" فيتزل هذا التدخل بضرباته القاسية ولطماته الموجعة على وجه الهمة حتى يُعمي بصرَها... فعليكم ان ترسلوا عليه الحقيقة الدائبة والرابحة دوماً وهي الآية الكريمة: (فاستقم كما امرت) (هود: ١١٢). كي تقفه عند حدّه، فلا يتجاوزه، اذ ليس للعبد ان يتأمر على سيده.

واخيراً يُقبل "حب الراحة والدعة" الذي هو أم المصائب ووكر الرذائل فيصفّد الهمة الكريمة بسلاسله واغلاله ويقعدها عن طلب معالي الامور ويقذفها في هاوية السفالة والذلة.. فعليكم ان تُخرجوا على ذلك السفاح الساحر، البطل المجاهد في الآية الكريمة: (وأن ليس للانسان الاّ ما سعى) (النجم: ٣٩).

---

[٧] حديث حسن أخرجه القضاعي في مسند الشهاب وابن عساكر في تاريخ دمشق، ٢ / ٤٢٠ / ٢ وانظر الصحيحة ٤٢٦ وصحيح الجامع الصغير وزيادته برقم ٦٥٣٨ .

[حقاً ان لكم في الجهاد وتحمّل المشاق راحة كبرى، وان الذي يملك فطرة حساسة راحتُه في السعي والعمل].

* * *

كان الذين لايعرفونني في اثناء تجوالي ينظرون الى ملابسي ويحسبونني تاجراً، ويسألون:

- أأنت تاجر؟

- نعم، وكيمياوي كذلك!

- كيف؟

- هناك مادتان، امزجهما معاً، فيولدان ترياقاً شافياً، وضياء كهربائياً.

- اين هما؟

- في سوق المدنية والفضيلة، صندوق يمشي على رجلين مكتوب عليه "الانسان" فيه جوهر ساطع أو أسود قاتم وهو القلب.

- وما المادتان.

- الايمان والمحبة، والوفاء والحمية.

الجريدة السيارة

ابو لاشئ، ابن الزمان،

اخو العجائب، رفيق الغرائب.

بديع الزمان سعيد النورسي